والخشية هنا كراهية ما يرجف به المنافقون والكراهة من ضروب الخشية إذ الخشية جنس مقول على أفراده بالتشكيك فليست هي خشية خوف إذ خشية النبي A لم يكن يخاف أحد من ظهور تزوجه بزينب ولم تكن قد ظهرت أراجيف المنافقين بعد ولكن النبي A كان يتوسم من خبثهم وسوء طويتهم ما كان منهم في قضية الإفك ولم تكن خشية تبلغ به مبلغ صرفه عما يرغبه بدليل أنه لم يتردد في تزوج زينب بعد طلاق زيد ولكنها استشعار في النفس وتقدير لما سيرجفه المنافقون .

والتعريف في (الناس) للعهد أي تخشى المنافقين أي يؤذوك بأقوالهم .

وجملة (وا أحق أن تخشاه) معترضة لمناسبة جريان ذكر خشية الناس والواو اعتراضية وليست واو الحال فمعنى الآية معنى قوله تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) . وحملها على معنى الحال هو الذي حمل كثيرا من المفسرين على جعل الكلام عتابا للنبي A .

و (أحق) اسم تفضيل مسلوب المفاضلة فهو بمعنى حقيق إذ ليس في الكلام السابق ما يفيد وقوع إيثار خشية الناس على خشية ا ولا ما يفيد تعارضا بين الخشيتين حتى يحتاج إلى ترجيح خشية ا على خشية الناس والمعنى : وا حقيق بأن تخشاه .

وليس في هذا التركيب ما يفيد أنه قدم خشية الناس على خشية ا لأن ا لم يكلفه شيئا فعمل بخلافه .

وبهذا تعلم أن النبي A ما فعل إلا ما يرضي ا وقد قام بعمل الصاحب الناصح حين أمر زيدا بإمساك زوجه وانطوى على علم صالح حين خشي ما سيفترضه المنافقون من القالة إذا تزوج زينب خفية أن يكون قولهم فتنة لضعفاء الإيمان كقوله للرجلين اللذين رأياه في الليل مع زينب فأسرعا خطاهما فقال " على رسلكما إنما هي زينب . فكبر ذلك عليهما وقالا : سبحان ا يا رسول ا . فقال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم خشيت أن يقذف في قلوبكما " .

فمقام النبي A في الأمة مقام الطبيب الناصح في بيمارستان يحوي أصنافا من المرضى إذا رأى طعاما يجلب لما لا يصلح ببعض مرضاه أن ينهي عن إدخاله خشية أن يتناوله من المرضى من لا يصلح ذلك بمرضه ويزيد في علته أو يفضي إلى انتكاسه .

قالة توقيه من له حصل بما تذكير ولكنه لوم ولا عتاب (الناس وتخشى) قوله في وليس A E المنافقين . وحمله كثير من المفسرين على معنى العتاب وليس في سياق الكلام ما يقتضيه فأحسبهم مخطئين فيه ولكنه تشجيع له وتحقير لأعداء الدين وتعليم له بأن يمضي في سبيله

ويتناول ما أباح ا له ولرسله من تناول ما هو مباح من مرغوباتهم ومحباتهم إذا لم يصدهم شيء عن طاعة ربهم كما قال تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض ا له سنة ا في الذين خلوا من قبل وكان أمر ا قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات ا ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا ا) وأن عليه ان يعرض عن قول المنافقين وعلى نحو قوله (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) فهذا جوهر ما أشارت إليه الآية وليس فيها ما يشير إلى غير ذلك .

وقد رويت في هذه القصة أخبار مخلوطة فإياك أن تتسرب إلى نفسك منها أغلوطة فلا تصغ ذهنك إلى ما ألصقه أهل القصص بهذه الآية من تبسيط في حال النبي A حين أمر زيدا بإمساك زوجه فإن ذلك من مختلقات القصاصين فأما أن يكون ذلك اختلافا من لقصاصين لتزيين القصة وأما أن يكون كله أو بعضه من أراجيف المنافقين وبهتانهم فتلفقة القصاص وهو الذي نجزم به . ومما يدل لذلك انك لا تجد فيما يؤثر من أقوال السلف في تفسير هذه الآية أثرا مسندا إلى النبي وأخبار قصص ولكنها ونسائهم رجالهم الصحابة من أحد إلى أو زينب إلى أو زيد إلى أو A وقيل وقال .

ولسوء فهم الآية كبر أمرها على بعض المسلمين واستفزت كثيرا من الملاحدة وأعداء الإسلام من أهل الكتاب . وقد تصدى أبو بكر بن العربي في الأحكام لوهن أسانيدها وكذلك عياض في الشفاء